

# الفصل السابع

وطنيته واهتمامه

بقضايا أمته



## وطنيته واهتمامه بقضايا أمته

قضايا الأمة الإسلامية في شعر العشماوي:

لكم ألم الشاعر ما تعانیه أمتنا الإسلامية من تفكك وانقسام، وتحلل وانحلال، وقد عبّر الشاعر عن آلامه لما حلَّ بأمتنا الإسلامية في كثير من قصائده بلغت أكثر من تسعة دواوين، ولم يترك حدثاً تعرّضت له أمتنا إلاّ وتحدث عنه، ولم يترك قضية من قضاياها، إلاّ وتفاعل معها، وكتب أروع قصائده، وكانت فلسطين، والمسجد الأقصى يمثلان كبرى همومه، لذا أفردتُ في هذه الدراسة المتواضعة فصلاً عن فلسطين والقدس في وجدان هذا الشاعر الإسلامي حتى النخاع، هذا وقد تعرّض إلى قضية البوسنة والهرسك، وكشمير، والبلقان، والشيشان، والحرب اللبنانية الأهلية، ومذابح صبرا وشاتيلا، وقضية الصحراء الكبرى والنزاع عليها بين الجزائر والمغرب، والحرب الأهلية في الصومال، وما يحدث من مذابح في الجزائر، كما تعرّض لقضية القومية العربية، كما تعرّض لحال الأمة الإسلامية الآن، والحرب الشرسة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، ولم ينس أسرى "جوانتمانو" وكتب عنهم قصيدة شعرية تعد من روائع شعره، لنا وقفة عندها. هذا وقد أرشد في قصائده هذه إلى سبل الصلاح والتقويم ففي قصيدة "حوار فوق شرع الزمن يتساءل عن أسباب غفوة الأمة، وأسباب الداء، فيقول:

أمة الإسلام يا حاملة

لقب المجد رغم الفتن

هذه الغفوة ما أسببها؟  
هذه الكبوة كم تؤلمني  
فتجيب أمة الإسلام قائلة:  
أنتم الداء الذي عانىته  
أنتم العيب الذي أضعفني  
هذه الغارات فيم ما بينكم  
تخدم الأعداء لا تخدمني  
والشعارات التي ألمحها  
في مهاوي حسرتي تقذفني  
رب "عفواً" لم يدر في خلدي  
أن أرى سهامي الذي يطعنني  
أن أرى كفاً صديق خائن  
تحرق المركب كي يغرقني  
أنا لا أشكو عدوي إنمأ  
اشتكي من صاحب يخدعني  
وبعدما استعرض واقع الأمة الإسلامية وحالها بين العلاج، فقال:  
يا بني الإسلام لا تختلفوا  
فالخلافات التي تضعفني

كـاـكـم فـي نـظـري مـــــــــــــــــؤتمـن  
وخطـيـــــــــــــــــر مـوقـف المـؤتمـن  
مـنـهـج التـوحيـد يـا أنصـاره  
هـو عـنـوانـي الـذي يـرفـيـــــــــــــــــمـني  
عـزـمـكـم وـالـوحدـة الـكبـــــــــــــــــرى  
مـسـلك الخـير الـذي يـنقـذني<sup>(١)</sup>

وفي قصيدة " أكسروا أقلامكم " يسخر من حال أمتنا الإسلامية ويتحدث عن الذل الذي حلَّ بها، وقد انقلبت الموازين، فالباطل أصبح حقاً، والحق غداً باطلاً، وعلينا أن ننتازل عن جميع حقوقنا وقضايانا، وأن نتحدث بمنطقهم، وبما يريدون، فالشاعر الذي ينطق بمنطقهم هو الشاعر المبدع الذي يشار إليه بالبنان، وعلى الشعراء وأرباب الأقلام أن يكسروا أقلامهم، ويكتبوا بأقلام " أمريكا " و"أوربا" و"بيجن" و"شامير" عن مآسي الأمة الإسلامية في القدس، وأطفال الحجارة، وفي الصومال، والبوسنة والهرسك، وكشمير، وبورما، والجهاد فليتحدث عن كل ذلك بمنطق أولئك، فيقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي ساخراً يقطعهُ الألم:

أكسروا أقلامكم واعتزلوا  
وادفنوا أحلامكم وامثلوا

---

(١) حوار فوق شرع الزمن.

كشَّرَ الباطلُ عن أنيابه

فاصبروا يا قومنا واحتملوا

كيف لا أبكي وصوت الذلِّ في

أمّتي قد صاح: قف يا رجل!

أيُّهَا الشاعِرُ صَفِّقْ كُأَمَا

قال دجالٌ وغنّى ثمّ ل!

وإذا قيل لك القُدسُ لنا

فاستعذ بالله ممّا نقولُ

وإذا قيل لك الأقصى فقلّ

ويحكّم يا قوم، هذا الهـيكلُ

وإذا حُدِّثتَ عن أطفالنا

فاستجرب بالله ممّا فعلوا

كيف يرمون الحصى في وجه من

بقوانين السّلام احتفـلوا

وإذا قيل لك القَتلى، فقلّ

لم يَغُضُّوا الصّوتَ حتّى قُتِلوا

أزَعَجُوا (رابين) في جولته

ودهى (شامير) منهم ووجلُّ

وإذا قيل جهادٌ فاستدر

قل لهم يا قوم هذا خللٌ

نحن في عصرٍ سلامٍ شاملٍ

كلُّنا في حوضه نغتسلُ

أيها الشاعِر صَفِّقْ للهوى

للقيوانين التي تُرتجلُّ

لا تقل شيئاً عن (الصُّومال) أو

عن أوفٍ اللاجئِين ارتحلوا

عن ضحايا الصُّربِ عن دائرةٍ

للمآسي لم تزل تكتملُ

عن رؤى (كشمير) عن (بورما) التي

جُرِّحَها الغائِرُ لا يندملُ

ما الذي يعينك من أمرهمو

أكلوا مـثلك أم لم يأكلوا

والى (الأفغان) لا تمدد يدك

لا، ولا تفرح إذا ما وصلوا

هم أصليون في من هجهم  
برئكت ممّا جنوه الدؤل  
لا تُفند رأي (أمريكا) ولا  
رأي أوربا فهذا خطل  
أيها الشاعر صفق وانخذل  
فسعيد الحظ من ينخذل  
لا تقل هيا ارجعوا يا قومنا  
واتقوا الله، وقولوا وافعلوا  
وإذا شاهدت يوماً خائناً  
فالتقل هذا فتى معتدل  
وإذا شاهدت يوماً نملة  
فالتقل للناس هذا جمل  
عندها تُصبح فينا شاعراً  
لا معاً يُضرب فيه المثل<sup>(١)</sup>

ويصرخ في زمن الهمس، بل الصمت عمّا أصاب الأمة من ذل  
وخنوع، فاليهود يضربون ويضربون، ويتهينون لضربات أخرى ونحن صامتون،  
يفعلون ما يفعلون بالشعب الفلسطيني، ونحن صامتون، ويقولون ما يقولون عنا

(١) ديوان "جولة في عربات الحزن"، بالصفحات ٦٧ - ٧٢ .

في وسائل الإعلام العالمية المسيطرين عليها، ونحن صامتون، فنحن لم نعد نملك سوى الشعارات، فقد تقاعسنا عن الجهاد، وغدا من أمتنا حليفاً لهم ، فيقول مخاطباً اليهود متآمراً على صمت أمتنا الرهيب، وما هي عليه من ذل وخنوع علّها تفيق:

اضربوا فالخضوع يلوي الرقابا  
والشعارات تملك الألبابا  
اضربوا فالنسور صارت بُغاثاً  
والهزارُ الجميل صار غرابا  
اضربونا فقد غفونا وسارت  
في يدينا سيوفنا أخشابا  
يا أذل العبياد، إلا علينا  
مُذَّ غدونا لغيرنا أذنا  
افعلوا ما أردتم - اليوم - إننا  
قد ضربنا دون الجهاد حجابا  
أنتم الأذليون، ذلك حقُّ  
والأذليون مبدءاً وانتسابا  
غـيـر أنـا صـرنا أذـلـاً لأنـا  
قد فتحننا لكم على الأفق بابا

وبنينا لكم كياناً كبيراً  
ومقاماً في أرضنا ومآباً  
وشُغلنا ببعوضنا في صراع  
يملاً النفس حسرة واكتئاباً  
نحن نرمي كيانكم بكلامٍ  
يجعلُ الأرضَ تحتكم سـرداباً  
ويقول:

بعض أقوامنا مطايا لديكم  
فاجعلوا من عظامهم أقتاباً

ثمَّ يخاطب الأمة الإسلامية التي يهديها هذه القصيدة، متسائلاً لم نتنازل  
عن حقنا، فيغدو هذا الحق في شك، مع أنَّه يقين، ونحن أقوياء بحقنا، فلم  
هذا الذل؟ فأبي عظيم إن استسلم وفرط في حقه لا يكون إلا ذليلاً، فلتفق  
هذه الأمة، ولتتفض عنها تراب الذل والخنوع، فيقول:

يا بني أمتي علام التغاضي  
ولماذا صار اليقنين ارتياباً؟!  
نحن أقوياء بحقنا فلماذا  
نجعل الذلُّ منهجاً وكتاباً؟!  
-١٠٦-

وإذا استسلمَ العَظيمُ بأرضٍ

فسيغدو الذليلُ فيها مُهاباً<sup>(١)</sup>

وهنا لا أتفق مع الشاعر في قوله "العظيم" فالعظيم هو الله عزَّ وجل، وكان عليه أن يقول "عظيم"، فهو خطأ غير مقصود، وقد فاتته هذه الحقيقة، ولعل الالتزام بوزن الشعر أوقعه في هذا الذلل، ولكن أرجو أن يتبته إلى ذلك فيما بعد، ويا حبذا لو أجرى تعديلاً على هذا البيت في طبعة أخرى لهذا الديوان.

لبنان ومذابح صبرا وشاتيلا

لكم آلمت الشاعر العشماوي جراح لبنان الحزينة فكان لها نصيب كبير في شعره، بكى لبنان بمشاعر ملتهبة قائلاً:

وا لهف نفسي على لبنان يقضمه

بؤس الزَّمان ويفري عوده الرطباً

وا لهف نفسي على تلك الرياض غدت

لألسن النَّار في آفاقه حطباً

أين الزهور؟ وقد كانت بسمتها

يا أرض لبنان تمحو الوجد والنصباً

---

(١) قصيدة "صرخة في زمن الهمس" من ديوان شموخ في زمن الإنكسار، بالصفحات: ١٨٥ - ١٨٧ .

ثمَّ يقول مصوراً حال الشعب اللبناني، وما أصابه من حزن نتيجة الحرب الأهلية:

فلا أرى غير تلك الأم نادية  
أطفالها بحنين صار ملتهدبا  
أو طفلة غضة سالت مدامعها  
يُتمأً فقد فارقت أمّاً لها وأباً  
وكم تأوّهت من شيخ ينوء به  
عبء الكهولة أحيا عظمه اللهب<sup>(١)</sup>  
أمّاً في قصيدة "يا خجلة التاريخ" فهو يصور لنا أحداث صبرا وشاتيلا،  
وبيّن موقف العرب السلبي المتخاذل، ثمَّ يبيّن أسباب هذا التخاذل، فيقول:  
صبرا وشاتيلا فصيحان  
أوأه من جرحي وأحزانني  
ما هذه الأشلاء تملؤني  
رعباً وما هذا الدم القاني؟  
من دنّس الأعراض في كنفني  
ومن بهذا الخطب أعمانني؟  
من أنبت المساة في طريقي  
من - يا ترى - بالرعب وارانني؟

(١) من ديوان الشاعر إلى أمتي، ص ٥١ .

من باعني للموت ممتشقا

سيف الهدى في شرميدان؟

لن يجهل التاريخ صورته

وحسن بدا في ثوب إنسان

وهنا نتوقف عند هذا البيت

من أنبت المساة في طرفي

من - يا ترى - واراني؟

هذا البيت صور لنا بصدق عمق مأساة وأهوال الرعب الذي ملأ مخيمات صبرا وشاتيلا، وقد أبدع الشاعر في هذا التصوير؛ إذ أصبحت المأساة مغروسة كالنبت في الطرقات، حيث تنتشر الجثث وأشلاؤها تنثر الرعب الذي يذيب المرء ذوباناً، فنبت المأساة، ومواراة الرعب تعبيران جديان بليغان استطاع الشاعر بهما أن يصور لنا ما رأيناه على شاشة التلفاز من جراء هذه المذبحة البشعة، فعند قراءتنا لهذا البيت، رأينا ثانية هذه المذبحة كما رأيناها من قبل على شاشة التلفاز، لذا فإن بشاعة هذه الجريمة قد سجلها للتاريخ إبداع هذا الشاعر لتراها الأجيال القادمة من خلال هذا البيت، ثم يصور موقف العرب المتخاذل، فيقول:

يا أمة ما كنت أحسبها

إلا ستحويوني وترعاني

كَم غَادَةٌ وَمَا وَجَدتْ  
مَنْ يَحْتَوِيهَا عَنْ يَدِ الْجَانِي  
يَا وَيْلَنَا مَنْ ذَلَّلَ سَكَنَت  
فَيْنَا فَصَرْنَا قَوْمَ خَذْلَانَ  
وَيُبَيِّنُ سَبَبَ هَذَا الْخَذْلَانِ قَائِلًا:  
يَا رَبِّ مَا حَلَّ الْبَلَاءَ بِنَا  
إِلَّا بِأَعْرَاضٍ وَعَصِيَانِ  
نَرْنُو إِلَيْكَ وَفِي ضَمَائِرِنَا  
آثَارَ أَحْقَادٍ وَأَضْغَانِ  
إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ عَزَّزْتَنَا  
وَقَفَّ عَلَى صَدَقٍ وَإِيمَانِ

وهكذا نجد قصيدة يا خجلة التاريخ قد صورت في أصدق تصوير واقع الأمة الإسلامية الآن، هذا الواقع المؤلم الذي نتمنى ألا يدوم، وأن تفيق من سباتها، وتعتصم بحبل الله.

## قضية الصحراء الكبرى والنزاع عليها بين الجزائر والمغرب

من القضايا التي شغلت هذا الشاعر المسلم المحب لوطنه الكبير قضية النزاع على الصحراء الكبرى بين المغرب والجزائر، فكتب يقول في قصيدة " إخوتي ربي الجزائر"<sup>(1)</sup>.

مسطَّر الجرح ألف سطر و سطر  
في ربوعي بالأحرف السوداء  
لم يزل ينبش الضغائن حتى  
ينفث السم في ربا الخضراء  
وعلى صفحة الجزائر ينوي  
نقش آلامه ورسم الشقاء  
إخوتي في ربا الجزائر مهلاً  
يا بني المغرب أنصتوا لندائي  
أو لم يكفنا بأننا غدونا  
بالتعمادي أضحوكة الأعداء؟  
أنا أدعو باسم الهدى يا حماة الدين  
لا باسم ثورة الأهواء  
فاستروا جسم أمة صار واغوثاه  
شالوا ممزق الأجزاء

(1) من ديوان الشاعر إلى أمتي، ص ٦٦ .

### قضية البوسنة والهرسك

شغلت قضية البوسنة والهرسك شاعرنا، كما شغلته سائر قضايا الأمة الإسلامية، وكان لهذه القضية حيزاً كبيراً في شعره وقد بين في قصيدة "سراييفوا تقول لكم" سبب إشعال الحرب، وقاتل الصرب "لشعب البوسنة والهرسك"، وهو تمسك البوسنة والهرسك بالدين الإسلامي، وبهويتها الإسلامية ورفضها الذوبان في الصرب والخضوع لهم.

فيقول:

نناديكم وقد كَثُرَ النَّحْيُ

نُنَادِيكُمْ وَلَكِنْ مَنْ يَجِيبُ؟

ثمَّ يقول:

"سراييفو" تقول لكم: ثيابي

مُمَزَّقَةٌ، وجدراني تُقَوِّبُ

محاربي تئنُّ، وقد تهاوى

على أركانها القصفُ الرَّهيبُ

وأوردتني تُقَطِّعُ، لا لأنِّي

جَنَيْتُ، ولا لأنِّي لا أتقوِّبُ

ولكنني رَفَعْتُ شِعَارَ دِينِ

يَضِيقُ بَصْدِقِ مَبْدَأِهِ الْكَذُوبُ

لأنِّي لا أجامل ولا أحابي  
ولا أرضى الخُضوعَ ولا أذوبُ  
لهذا مزَّق الأعداء ثوبي  
وبين يديَّ أشعلت الحُروب<sup>(١)</sup>  
يقول في مطلع قصيدة " عندما يئن العفاف":  
أطرقتُ حَتَّى مَأْنِي الإِطْرَاقُ  
وبكيتُ حَتَّى ذابَت الأَحْدَاقُ  
ثمَّ يقول:

قتلٌ وتشريدٌ وهتكٌ محارمٍ  
فينا، وكأس الحادثاتِ دِهَاقُ  
أنا قصةٌ صاغَ الأنينُ حروفَها  
ولها من الألمِ الدفينِ سِياقُ  
أنا أيُّها الأحبابِ مسلمةٌ لها  
قلبٌ إلى شرعِ الهدى تَوَاقُ  
دَفَنَ الشيوَعيون نبعَ كرامتي  
دهراً، وطارت حوَلِي الأطباقُ

(١) ديوان "عندما يئن العفاف"، ص ٩٩، ١٠٠.

حتى إذا انكشف الغطاءُ وغرّدت  
آمالنا وبدأ لنا الإشراقُ  
وقف الصليبُ على الطريقِ فلا تسلَّ  
عما جناه القتلُ والإحراقُ  
وحشيةٌ يقفُ الخيالُ أمامها  
متضائلاً، وتمجُّها الأذواقُ  
أطفالنا ناموا على أحلامهم  
وعلى لهيبِ القاذفاتِ أفاقوا  
يبكون كلاً، بل بكت أعماقهم  
ولقد تجود بدمعِها الأعماقُ  
أطفالنا بيعوا، وأوربا التي  
تَشْرِي، ففسيها راجتِ الأسواقُ  
أين النظامُ العالميُّ أماله  
أثر ألم تنعق به الأبواقُ؟  
أين السلامُ العالميُّ لقد بدا  
كذب السلامِ وزاغت الأحداقُ

يا مـجـلسُ الخَوْفِ الَّذِي فِي ظِلِّهِ  
كُسِرَ الأَمَانُ، وَضُيِّعَ المِيثَاقُ  
أَوْ ما يَحْرِكُ الَّذِي يَجْرِي لِنَا؟  
أَوْ ما يُثِيرُكَ جَرَحِنا الدَّفَاقُ  
يَعْفَى عَنِ الصَّرْبِ الَّذِينَ تَجَبَّروا  
وَطَغَوْا، وَيُفَرِّدُ بِالْعِقَابِ عِرَاقُ  
هَذَا وَرَبِّكَ شَرُّ ما سَمِعْتَ بِهِ  
أُذُنٌ وَما كُتِبَتْ بِهِ الأورَاقُ  
سَرَجُ العَدَالَةِ مالٌ فَوْقَ حِصانِها  
وَلوى العِنانِ إِلى الوِراءِ نِفاقُ  
كُشِفَ السُّتارُ وَبانَ كُلُّ مُخَبِّأٍ  
فإِلى مَتى تَتَطامَنُ الأَعناقُ  
أنا أَيُّها الأَحبابُ مِسلامة طوى  
أحلامِها الأوباشِ وَالنُفُوسَاقُ  
أخذوا صَغيري وَهو يَرفَعُ صَوْتَهُ  
"أُمَّي!" وَفي نَظراتِهِ إِشفاقُ  
وَلدي؛ وَصَفَّ عَني الدَّعيُّ وَيكتوي  
قَلبِي وَيُحَكِّمُ بابِي الإِغلاقُ

ولدي؛ وتبأغني بقايا صرخةٍ  
مخنوقة، ويُقهقه الأفاقُ  
ويئنُّ في صدري العفافُ ويشتكي  
طَهْرِي وتُغمضُ جفنها الأخلاقُ  
أنالاً أريدُ طعامكم وشرابكم  
فدمي هنا يا مسلمون يُراقُ  
عِرْضِي يُدنِّسُ أين شيمتكم أما  
ففيكم أبيُّ قلبه خفَّاقُ  
أختاه، أمتي التي تدعونها  
صارت على درب الخوضوع تُساقُ  
أودت بها قَوْمِيَّةٌ مشؤومةٌ  
وسرى بها نحو الضياع رِقَاقُ  
إِنْ كُنْتَ تَنْتَظِرِينَهَا فسينتهي  
نَفَقُ، وتأتي بعده أنفاقُ!  
مدِّي إلى الرحمن كفَّ تضرُّعُ  
فلسوف يرفعُ شأنك الخلاقُ  
لا تياسي فأمام قُدرة ربِّنا  
تتضائلُ الأنسابُ والأعراقُ

## قضية الشيشان ورسالة من مجاهد شيشاني

لقد صور الروس جهاد الشعب الشيشاني في سبيل حصوله على استقلاله إرهاباً، كما ضلل الروس الرأي العام حول قضية الشيشان، زاعماً أنها مسألة داخلية، وأن المسلمين الشيشان يشكلون أقلية إسلامية مع أن تاريخ هذه المنطقة، وهي بخارى الكبرى يقول لنا: إنها منطقة إسلامية قد دخلت في الإسلام منذ أن بدأ فتحها في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، واكتمل فتحها في سنة ٩٤، ٩٥ هـ على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، وكان من ضمنها بلاد الشاش، وظلّت دولة إسلامية إلى أن احتلت روسيا القيصرية بخارى الكبرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أي في نفس الفترة التي تمّ فيها الاحتلال البريطاني لمصر، والفرنسي للمغرب العربي، ومنذ احتلالهم لها سعوا على تجزئتها وتفثيتها إلى ولايات، وإزالة اسم بخارى الكبرى من الخريطة، وسعى الإعلام الروسي في تضليل الرأي العام، وإيهامه أن الشيشان جزء من دولة روسيا، واصفين مقاومة الشيشان للاحتلال الروسي إرهاباً، وللأسف الشديد نجد المسلمين انخدعوا بهذا التضليل حتى في مناهجنا الدراسية لمادة الجغرافيا درس لنا إقليم بخارى الكبرى "تركستان" كأحد أقاليم الاتحاد السوفيتي من روسيا، وكذلك لم يدرس لنا تاريخ هذه المنطقة، وكيف كانت ضمن الدولة الإسلامية، ولعلّ هذا يفسر لنا الموقف السلبي الذي وقفته الشعوب الإسلامية تجاه تصفية روسيا للمجاهدين الشيشان، وتدمير جرزوني وقراها، وخروج مئات الألوف منها كلاجئين.

وهذه القصيدة كتبها الشاعر العشماوي على لسان أحد مجاهدي الشيشان يخاطب بها أخوانه من المسلمين مبيناً فيها ما ألحقه الروس بالشيشان من ظلم وطغيان وقتل وتشريد بالشعب الشيشاني شيوخه ونسائه وأطفاله فيبدأ "المجاهد الشيشاني رسالته التي كان مدادها دماء الشهداء الشيشان إلى إخوته المسلمين قائلاً:

كـتـبـنـا بـآلام الغـالي بيـانا  
نـخـبُّ بـر مـن نـحـبُّ بـما دـهانـا  
و نـنـقـلُ صـوـرَةً عـنَّا إـلـيـكـم  
تـرـوُن بـهـا الحـرائـقَ و الدُخـانـا  
تـرـوُن مـدـامعَ الأطفـالِ مـا  
يـخـمـدُها الجـليـدُ عـلى لـحـانـا  
تـرـوُن نـسـائـنـا مـتـلفـات  
بـحـسـرتـهـنَّ يـنـشـدُنَ الحـنـانـا  
تـرـوُن شـيـو خـنا عـجـزت خـطـاهـم  
فـمـا هـرـيـوا، و لا و جـدوا الأمانـا  
تـرـوُن بـيـوتاً صـارت قـبـوراً  
و تـحـت رُكـامـهـا دـفـنوا رُؤـانـا  
كـتـبـنـا بـالـدِّمـاءِ لـكـم خـطـاباً  
لـيُـقـطـظ مـن تـشـاغـلٍ أو تـوانـي

ثم يتحدث المجاهد الشيشاني عن صمود الشعب الشيشاني، مبيناً أن الروس مدعمون من الغرب، وكلاهما عدو لنا، وأن هذا الدعم هو الذي مكّنتهم من قتال الشيشان، والمجاهد الشيشاني يبين له أيضاً حق هذا الشعب - المجاهد المناضل للحفاظ على دينه وأرضه وهويته الإسلامية - على إخوته المسلمين، وهو نصرتهم والوقوف معهم في محنتهم حتى يتحرروا من قبضة هذا المحتل الروسي الملحد، الذي ألصق بهم تهمة الإرهاب، والإرهاب ليس في ديننا، وليس فينا، فيقول:

وفي الشيشان كنزٌ من إباءٍ  
تظلُّ به موثقةٌ عُرانا  
جبالٌ أنبتت الإسلامَ فيها  
رجالاً يثُمرون العنقوانا  
تصبَّبَ حَمَمٌ مصائبهم وتُمسي  
فتلقاهم أشدَّ بها حنانا  
أنخسنى بعد هذا من عدوِّ  
يعودُ إلى الوراءِ إذا رأنا؟!  
جنودُ الروسِ ليسَ لهم يقينٌ  
يُنَبِّتُهُم ولا عارفوا اتزاناً  
تنالُ الخمرُ منهم بمبتغاياها  
ونحن ننالُ منهم بمبتغيانا

لقد سقطت مذاهبهم ولكن  
مدافعهم تُقيم لها مكانا  
ولو رأوا من دعم غريب  
لما سلكوا الطريق إلى ربانا  
تكاملاً موقوف الأعداء منا  
وأيد بعضهم بعضاً عيانا  
لقاءً بين شرقٍ مستبد  
وغربٍ بالعداوة واجهانا  
أحببتنا لنا حقاً عليكم  
ومن عرف الحق وق رعى وصانا  
أقمنا حجة الإسلام فيكم  
وأحيينا الجهاد على ثرانا  
بذلنا النفس للمولى وطرن  
بأجنحة الرضا لما دعانا  
فماذا تبذلون لنصريدين  
وأعينكم بلا غشٍ ترانا  
أستمتم تبصرون دخان غدر  
وإرهاباً به الباغى رمانا

وما إرهابُ هذا العَصْرِ مَتًّا  
ولا فِنا ولا هوَ من هُدانا  
دعاوى من عُدُّوا لله يرمي  
بأسِّهمِها ليُقِفَ مُرتَقانا  
يُفرِّقُ بيننا ويُثيرُ فينا  
خلافاتٍ يزيدُ بها أسانا

ويعلن المجاهد الشيشاني بأعلى صوته، بأنَّهم يسكرون على نهج الله وأنَّ القرآن الكريم يمنحنا القوة، ويضئ لهم طريق النصر والاستقلال، فهم بينون كيان دولتهم على نهج القرآن الكريم، وأنَّ الشعب الشيشاني سيحفظ صنيع كل من وقف معه ودَّعَمه، وأنَّه سوف يلقنُ العدو المحتل درساً، وإنَّه سوف يُرهب بالجهاد الطغاة، وأنَّهم إذا جنحوا إلى السلم، وكانوا صادقين، وأعطوا للشعب الشيشاني كامل حقوقه في الحرية والاستقلال، فلن يحاربوهم، فالدنيا ليس مراد الشعب الشيشاني، فهو يريد الآخرة، يريد الحفاظ على دينه، ويلقى ربَّه وهو ينطق بشهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، ومَنْ هذه بغيته فلن يرضى بالذل والهوان:

أما علمَ المكابِرُ أنَّ فينا  
كتابَ اللهِ يمنحنا البياننا  
يُضئُ لنا الوجودَ فنحنُ نبني  
على أضواءٍ منهجه الكياننا

نقولُ له وللدُّنيا جميعاً  
بأننا سوف نرعى من رعانا  
وسوف نُلقنُ الباغينَ درساً  
يعيدُ إلى المودة مَنْ جفانا  
سنُرهبُ بالجهادِ طُغاةَ حربٍ  
ونمنحهم إذا صدقوا الأمانا  
ومن لم يجعل الدُّنيا مُراداً  
فلن يخشى المذلةَ والهوانا

### قضية الصومال وصرخة طفل صومالي

شغلت شاعرنا قضية الحرب الأهلية في الصومال، والتي أشعلها الطامعون في هذه الأرض لموقعها الاستراتيجي، وفقاً للقاعدة الاستعمارية "فرق تسد"، وهذه صرخة يطلقها طفل صومالي، يقول فيها:

كتب الظلام جوابه وسؤالي  
والجرح صاغ مقالته ومقالتي  
وتحدتْ حَسراتُ قلبي بالذي  
أخفيته من حسرة الصومال

ثمَّ يتساءل فيقول:

أنا، من أنا، في هذه الأرض التي

تشقى بسوءِ تعاملِ الأندال؟

أنا من أنا في عالمٍ متوحشٍ

يُفنى الألوفاً لأجلِ حرفةٍ مالٍ؟

أنا من أنا، قل لي بربك يا أبي

إنني أرى ما ضاق عنه خيالي؟

لم يقتلون أمام عيني إخوتي

لم يحرقون ملابسَ الأطفالِ

كم غارةٍ عشواء، قال رصاصها

مالم تقله نواطق الأهوالِ

ظلت تلاحقنا الشظايا أينما

سرنا وتتبعنا إلى الأدغالِ

فالقتال والرصاص يلاحقهم أينما حلوا حتى في الأدغال لا مفر من

الرصاص، ولا من مدافع الرشاش، ولو أقفلت عليك كل الأبواب، وهيئة الأمم

المتحدة، تقف موقف المتفرج

أين المفر وكل رشاشٍ له

ثغرٌ، يبوحُ بسرِّه القاتلِ

أين المفرد؟ وهيئة الأمم المتحدة

مبهورةً في حُضن "بطرس غالي"

ثم يخاطب المسلمين الذين لم يسمع منهم سوى الأقوال, لم يعملوا أي شيء لإيقاف نزيف الدم بين الإخوة في الصومال، مبيناً أن الحرب بين القبائل الصومالية هي خطة استعمارية تستهدف استئصال هذا الشعب من الوجود، فيقول:

يا إخوة الإسلام سافرَ حُرْزَنَّا

فينا، وأوغل أيَّما إيغالٍ

أطعمتمونا القولَ في زمن الأسي

أنسدَّ جوعتنا من الأقوالِ

إلى أن يقول:

ما هذه حربُ القبائلِ بيننا

بل خطة الأعداء لاستئصال<sup>(١)</sup>

(١) ديوان "عندما يئن العفاف"، ص ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥ .

## قضية القومية العربية

من الشعارات التي يرددها كثير من العرب شعار " القومية العربية"، وهو شعار يفصلنا نحن العرب عن جسم الأمة الإسلامية، ويشتتنا، ويقسمنا، وكان هذا الشعار من أسباب الفرقة والانقسام، والشاعر الإسلامي بروحه الإسلامية المتدفقة، وبإيمانه الفيّاض بيّن لنا في قصيدته إلى دعاة القومية ما تخفيه هذه الدعوة من تضليل تهدف به تمزيق جسم الأمة الإسلامية، وانتزاع أهم أعضائه من "العرب"، فيقول الشاعر العشماوي:

تـنـمـو غـصـون الـوحدـة الـ

كـبـرى عـلى جـذع هـزـيل

جذع هو القوموية الـ

عمياء عن درب الرعيـل

أنا لستُ أقطفُ يا رفاقي

زهرة النسب الأصيل

لكنَّها قوموية

بلغت حدود المستحيل

هل ألفت أشـتاتكم

يا قوم من قبل الرسول

قد يخفي في روعة الـ  
عنوان تضليل الفصول  
هذي صروح فخاركم  
هُدِّمَتْ فلوذوا بالطلول  
وابكوا عليها مثمما  
يبكي الخليل على الخليل  
فعلَّ إسرائيل تنظر  
بعهد هذا في الحلول<sup>(١)</sup>

وهكذا نجد من خلال هذه الجولة الشعرية السريعة في بعض قصائد هذا الشاعر المسلم المؤمن أنَّ حسه وقلبه وعقله ووجدانه منشغل بأمته الإسلامية وبقضاياها وأنَّ غاية مناه أن تتشع سحابة الحقد من سمائها، وأن تتقلع نباتات المآسي من أراضيها، وأن يختفي الرعب المذيب من أجوائها، وأن تتوارى أشلاء التمزق من طريقها، وأن تزول بصمات الذل من سطور تاريخها فتعود إليها عزتها وكرامتها ووحدها وقوتها لتثمر ثمار الحب والإيمان ولعمري فإنَّها أمنية كل مؤمن ومؤمنة هذا كما كان لقضية أفغانستان نصيب من اهتمام الشاعر فكتب قصيدة الصحوة الكبرى، فأشغلته أحوال المسلمين في الفلبين، وما يتعرضون من اضطهاد، وكذلك الحرب العراقية الإيرانية، وقضية بنيامين الذي قتلته حكومة جنوب أفريقيا ظلماً.

(١) المصدر السابق: ص ٩٢ .

## أسرى أقفاص جوانتانامو

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م التي أدت إلى تفجير مركزي التجارة العالميين في نيويورك، وجزء من مبنى وزارة الدفاع الأمريكية "البننتاجون" في واشنطن ألصقت هذه الأحداث بالعرب والمسلمين، وشن الإعلام الصهيوني حملة شعواء ضد الإسلام والمسلمين، وأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على ما أسمته إرهاباً، وهي حرب صليبية في حقيقتها على الإسلام، كما أعلن الرئيس الأمريكي "جورج بوش الابن" عند بداية حدوث الأحداث، ورغم عدم وجود أدلة تدين أي أحد من المسلمين بتورطه في هذه الأحداث، ورغم ثبوت بالأدلة القاطعة تورط المخابرات الأمريكية مع الموساد "المخابرات الإسرائيلية" في تدمير هذه الأحداث والتخطيط لها، وإصاقها بالمسلمين لتنفيذ المخطط الذي تقوم بتنفيذه الآن الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل، والذي بدأته بحربها على أفغانستان للقضاء على تنظيم القاعدة ونظام طالبان، باعتبار تنظيم القاعدة هو المتهم الأول والرئيسي في هذه الأحداث، ونقلت الإدارة الأمريكية ما تمكنت من أسره من العرب، ولا سيما السعوديين إلى جوانتانامو بكوبا لئلاً تطبق عليهم قوانين أسرى الحرب المعمول بها في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلوموا معاملة أدنى من الحيوانات، وكدلوا بالحديد، ووضعوا في أقفاص، وهم منكسي الرؤوس إمعاناً في إذلال الإسلام الذي يُدينون به، وهؤلاء الأسرى منهم قدم لأفغانستان لأعمال إغاثية، ومنهم من قدم لباكستان لتوقيع عقود عمل لاستقدام أيدي عاملة للمملكة العربية السعودية، ومنهم من كان مجاهداً في حرب الأفغان مع

الروس، وقد سكت العالم بأجمعه بكل منظماته وهيئاته التي تتطالب بحقوق الإنسان، والرفق بالحيوان على هذه الجريمة الأمريكية البشعة

إنَّ مأساة أسرى جوانتانامو شغلت شاعرنا كما هي شغلت كل واحد منا، هؤلاء الأسرى الذين أخذوا ظلماً وعدواناً إلى جوانتانامو موضوعين في أقفاص مكبلين بالحديد منكسي الرؤوس يعاملون معاملة أدنى من معاملة الحيوان، بل الحيوانات المفترسة الموجودة في أقفاص حدائق الحيوان تلقى من العناية والاهتمام لم يلق منه ولا ذرة من أسرى هذه الأقفاص، ويكفى أن أولئك الحيوانات يعيشون داخل الأقفاص دون سلاسل ولا قيود، ويقدم لهم الطعام الذي يريدون، ويهئ لهم الجو الذي تعودوا العيش فيه أمَّا هؤلاء الأسرى، فيعيشون في تلك الأقفاص مكبلين لا فرش ينامون عليه ولا غطاء يقيهم شدة البرد، أو حرارة أشعة الشمس، وممَّا يثير الدهشة أن العالم قابل هذه العملية الوحشية بصمت رهيب، ولجان حقوق الإنسان صممت هي الأخرى أمام هذه الخطوة البربرية التي قامت وتقوم بها الإدارة الأمريكية التي تحالفت مع الصهيونية لتنفيذ المخطط الصهيوالأمريكي الذي يستهدف القضاء على الإسلام، وتمزيق الدول الإسلامية وتجزئة كل دول منها إلى عدة دويلات تخضع للسيطرة الصهيوالأمريكية، والاستيلاء على ثرواتها، وتكوين دولة إسرائيل الكبرى التي تمتد من النيل إلى الفرات، وشاعرنا في قصيدته " يا سجين الأقفاص " يخاطب أسرى هذه الأقفاص موضحاً حال أمتنا الإسلامية التي شغلها عنهم فرقتها وتمزقها وضعفها، متسائلاً ماذا يأكلون ويشربون؟ وهل ما يأكلونه ويشربونه يليق بآدمية الإنسان؟ وكيف ينامون؟ وهل يُسمح لهم بالصلاة والصيام؟

تعالواً نقرأ معاً هذه القصيدة التي تعد رائعة من روائع هذا الشاعر المسلم  
بكل ما تعني به هذه الكلمة من معنى:

كشَفُ البرق ما يُسرُ الغمام  
والتفت بالحقة لائق الأحلام  
وروى الرعد قصة ما وعاهها  
قلبٌ غافٍ، بلهوه مستتهام  
عبر في الفضاء تجري طوتها  
عن عيون الخلائق الأوهام  
وطواها انشغفنا بالمآسي  
وطواها خالفتنا والخصاصم  
وطواها مكابر مستتبُدُّ  
لا يبالي أن يُظلم الأيتامُ  
وطواها عَصِر الأباطيل، مَّا  
أيَّد القسُّ الحاخام  
عبر هذه الحياة ولكن  
غفلةُ النَّاسِ أبعَدتْ ما يُرام  
غفلة تشكي المبادئ منها  
ويُعاني ممَّا جنته النظام

ليت شعري ماذا تقول ثغورٌ  
كَمَّتْهَا برعبها "غونتانامو"  
(غونتانامو) أو (قلت هاموا) حروفٌ  
صار يهذي بقبحها الإعلام  
بين أقفاصها يعيش ظلمٌ  
وانتهاكٌ لحرمةٍ وانتقام  
دون أسلاكها توقَّفَ عطفٌ  
وحنانٌ ورحمةٌ وسلامٌ  
يا سجين الأقفاص ماذا تعاني  
وعلى أي جنايبك تنام؟  
هل أتاحوا لك الصلاة إذا ما حان  
وقتٌ، وهل أتيح الصَّيامُ  
هل تُفكُّ القُيودُ عنكم إذا ما  
خيم الليلُ واستبدَّ الظلامُ  
ما الذي تأكلون، يا ليت شعري  
أنظيفٌ شرابكم والطعامُ  
ألديكم من الصقة غطاء  
وفراشٌ به توقَّى العظامُ

ثمَّ يبيِّن صمت منظمات حقوق الإنسان، ومجلس الأمن الذي أصبح مجلس "خوف" الذي يقصر عقوباته على البلاد العربية والإسلامية، فلقد أصبح منبع خوف لنا أفقدنا الأمان، أيضاً هو مجلس خوف من الإدارة الأمريكية التي أثقلت العالم بجرائمها حتى أضحت الأرض حبلى بضحايا هذه الدولة المتكبرة المتغترسة التي قتلت الملايين في الحروب التي خاضتها ضد الشعوب الإسلامية والفقيرة والمستضعفة فلم يعد هذا المجلس مجلس أمن، إذ أقرَّ أمريكا على جريمتها الشنعاء بشأن أسرى جوانتانامو الذين لا ذنب لهم إلاَّ أنَّهم مسلمون، فيقول:

يا دعاة الإنصاف، في أرض كوبا

أفـرغت من مدادها الأقلامُ

طوت السر (غونتانامو) وباتت

وعلى نبض قلبها جاثمُ

سجناء الأقفاس فيها دليلُ

عن حقوق الإنسان كيف تضامُ

يا دعاة الإنصاف للحق وجهه

لا يراه الكذوب والنمَّامُ

أين وجه الحقيقة الطلقُ أمسى

دون ثغـر يلوح منه ابتـسامُ

أن يكونوا أصحَّابِ ذنبٍ فـهـلأً  
صـدـرت بالعدالة الأحكامُ  
أحلالٌ جور العادي علينا  
وعلى أمـتي الجـهادُ حرامُ  
أحلالٌ أن تصبـحَ القـدسُ داراً  
سـاكنوها الجـياعُ والأيتامُ  
أحلالٌ أن يُقتلُ الطـفلُ منا  
ولأطفـالهم يطيب المقامُ  
يا دعـاة الإنصاف إن سكوتاً  
عن حقوق المستضعفين انهزامُ  
لا تظنوا بمجلسِ الخوفِ خيراً  
فهو للصمتِ قائدٌ وإمامُ  
أين منه الحقوق، كيف تغاضى  
عن حقوق سطا عليها الطغامُ  
أو ما يبصر التي في يديها  
جـرب من صـلافة وجذامُ  
كيف أغضى عنها، وفي الأرض منها

دمدماتٌ وضجَّةٌ واحتدامٌ

هي حبلٌ بظلمها وهواها

ولديها على الدماء (وحامٌ)

حملها كائنٌ غريبٌ السجايا

ليس في خلقه الغريب انسجامٌ

غـرَّها المال والتطورُ حتَّى

نسيت ما يقدرُ العلامُ<sup>(١)</sup>

وهكذا نجد شاعرنا لم يترك قضية من قضايا أمتنا إلا وتناولها في

شعره، فهو بحق شاعر الأمة الإسلامية، ومن يريد أن يقرأ تاريخنا، ولا سيما

المعاصر منه، فليقرأ شعر العشماوي، فهو خير راصد لهذا التاريخ.



---

(١) نشرت هذه القصيدة في ملحق الرسالة الذي تصدره جريدة المدينة كل جمعة، وقد نشرت بتاديب  
١٧/٩/١٤٢٣هـ.